المحاضرة الرابعة

قاعدة في الجري والانطباق

الجري لغة: الجري : بمعنى السيلان، وهو خلاف الوقف والسكون ، ولا يبعد أن يكون فيه معنى السريان، أي : تسرّي شيء إلى شيء آخر.

الجري اصطلاحا: الجري في مصطلح المفسرين عبارة عن انطباق ألفاظ القرآن وآياته على غير ما نزل فيه. وبعبارة أخرى: عدّ شيء مصداقا من مصاديق مفهوم بعد ما لم يكن مصداقا له وضعا ، كما يبدو من كلام العلامة الطباطبائي؛ فإنه بعد ما نقل عن الصادق ع حديثا في أن المراد بالصراط في قوله تعالى: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ هو أمير المؤمنين ع ، قال : (وهذه الأخبار من قبيل الجري) . فجعل ما جاء في الرواية مصداقا للآية .

وذكر السيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال : هو رسول الله ص وصاحباه .

ويمكن القول أن الجري:

- إما أن يكون من سنخ التوسعة المصداقية من جهة الازدياد في المصاديق، أي : التوسيع من مصداق الصراط كالإسلام والنبي والقرآن، إلى من كان في طريق الهداية ، كالولي المفترض الطاعة بعد ذلك الزمان .

– وأما أن يكون من سنخ التوسعة المفهومية من جهة أخرى، أي: التصرف في المفهوم على نحو يصدق على غير المصاديق الرائجة.

وغير خفي على المتتبع الخبير أن هذا الاصطلاح مأخوذ من كلام أئمة أهل البيت ع مثل ما روي عن الباقر ع أنه قال في شأن القرآن: « يجري كما يجري الشمس والقمر».

معنى الانطباق أو التطبيق:

يبدو من كلمات المفسرين والباحثين في علوم القرآن أن للانطباق أو التطبيق معاني عديدة:

الأول: التفسير بالرأي، قال الطباطبائي: إن روايات اسباب النزول انما هي من قبيل ما نسميه تطبيقا ، بمعنى انهم وجدوا مضامين بعض الآيات تقبل الانطباق على بعض القصص الواقعة في زمن النبي ص ، فعدّوا القصة سببا لنزول الآية ، لا بمعنى انها نزلت لرفع الشبهة وحل الإشكال بسبب حدوث تلك الواقعة .

الثاني: ما يرادف الجري ، كما يظهر من كلام الشيخ محمد هادي معرفة، حيث ذهب إلى أن الإمام علي ع قاتل على تطبيق القرآن العام على شبهات القوم ، وقد روى الفريقان أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله، وهو علي بن أبي طالب» .

الثالث: انطباق الآية على فرد خاص ، فإن الآية القابلة للانطباق على أفراد كثيرين تطبّق على المصداق الأتمّ، مثل انطباق الصادقين والمتقين والمحسنين وغيرها على علي بن أبي طالب ع ؛ لكونه أتمّ مصداقا لهذه المفاهيم، مثل ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ

أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ عن الصادق ع أنه قال: «علي أمير المؤمنين أفضلهم، وهو ممن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله».

وكذلك ما رواه السيوطي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ يعني: أبا جهل بن هشام، وفي قوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ذكر الإمام علي ع وسلمان المحمدي .

بهذا المعنى تصير دائرة المفهوم الموسع القابل للانطباق على أفراد كثيرين ضيقة، وينطبق المفهوم العام على المصداق الأتم . وما يعنينا من معاني الانطباق هو الأخير.

الأدلة على شرعية الجري والتطبيق :

يمكن الاستدلال على شرعية الجري والتطبيق في تفسير القرآن بهذه الأدلة:

(1) جريان القرآن كما يجري الشمس والقمر: لا ريب في ان القرآن الكريم نزل هدى للعالمين ، يهديهم الى واجب الاعتقاد وواجب الخلق ، وواجب العمل. وما بيّنه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ولا زمان دون زمان ، وما ذكره من احكام وفضائل وتشريع فهو عام لا يختص بفرد خاص ولا بعصر محدد وهذا ما يؤكد كلام الامام الباقر (ع) ((يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع)) وكذلك قوله ((لو ان الآية نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن يجري القرآن اوله على اخره مادامت السموات والارض)) .

(2) **اخبار بطن القرآن:** قال الامام الباقر (ع) ((ظهر القرآن الذي نزل فيهم، وبطنه الذين يعملون بمثل أعمالهم)) فعلى هذا ينطبق قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ على كل طائفة من المؤمنين الموجودين في الاعصار المتأخرة عن زمان نزول الآية . ويؤيده ما رواه الفريقان عن رسول الله ص ((ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وهو علي بن ابي طالب﴾ ، فحرب رسول الله وقتاله المشركين في مكة وكفار قريش تكون من مقولة التنزيل، وحرب علي ع في واقعة الجمل مع الناكثين وفي صفين مع القاسطين وفي النهروان مع المارقين تكون من مقولة التأويل؛ اذ لم تكن في زمن رسول الله (ص) .

(3) **مراتب القرآن:** مضافا الى ما مرّ من انطباق الآيات على المصاديق غير الموجودة في زمن النزول ، يمكن انطباق الآيات على ما شارك في الحكم أو العليّة، كانطباق الآيات التي تتعلق بجهاد العدو على جهاد النفس، وانطباق آيات النفاق على الفسق...وغير ذلك . وهذا ما اشار اليه الامام الصادق ع حيث قال ((كتاب الله عز وجل على اربعة اشياء ، على العبارة والاشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام ، والاشارة للخواص ، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء)) .

(4) **سيرة المفسرين:** ان كثير من المفسرين من جميع المسلمين قد طبق هذا النوع والتجأ اليه في بيان معاني الآيات القرآنية، فالشيعة يعتبرونه دأب اهل البيت في ذلك وانهم يطبقون الآية في القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد، وان كان خارجا عن مورد النزول. والجدير بالذكر ان تطبيق الآية على المصاديق غير الظاهرة لنا الا انها ظاهرة لذوي الاختصاص لا يصطلح عليه تفسيرا بل يفوق التفسير بدرجة، ولا يجوز للمبتدئ العمل به ،

بل ولا لكل مفسر أن يسلك هذا المسلك الخطير . اما اهل السنة فإجمالا عملوا به كالفخر الرازي في مفاتيح الغيب ، مثلا في تفسير الكوثر طبقوها على مصاديق غير موجودة في عصر النزول، إذ عدّوا أولاد النبي (ص) وعلماء امته ونشر الاسلام من معاني الكوثر .

(5) **دأب القرآن:** يدلّ على شرعية هذه القاعدة قوله تعالى ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ ، فإنه صرح بأن لكل قوم هاديا، و(القوم) لا ينحصر بالموجودين في زمن النزول ، فالرسول واحد جاء في زمان خاص ، لكن الهادي يأتي في كل زمان .

(6) **بناء العقلاء:** قال الطباطبائي بعدما بيّن جريان القرآن عبر الأزمان : الاعتبار يساعد الجري ، وذلك لان الدين الالهي الخالد الى يوم القيامة لم يكن لزمان دون زمان، ولم تنحصر معانيه ومصاديقه في قطعة من الزمان .

عينات الجري والتطبيق:

للجري والتطبيق عينات مختلفة نذكر هاهنا بعضها بوصفها انموذجا :

(1) **التمثيل:** إن المراد بالتمثيل هنا بيان انموذج مصداقي لمفهوم كلي، جاء في تفسير الميزان في تفسير قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ أن تفسيره بحبيب النجار المذكور في سورة يس، أو علي ع السابق إلى الإيمان بالنبي ص هو التمثيل.

(2) **التنظير:** يراد بالتنظير هنا تشبيه فرد بفرد آخر ، لوحدة الملاك فيهما، مثل ما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: إن باب الولاية في الإسلام يكون كباب حطة في بني إسرائيل ؛ لأن باب حطة في بني إسرائيل هو طلب الحط

عن الذنوب والاستغفار كما قاله المفسرون، وهذا يكون في الولاية أيضا كما روي عن الإمام الباقر ع أنه قال : ((نحن باب حطتكم، وقوله : نغفر لكم خطاياكم، أي : نصفح ونعفو عن ذنوبكم)) . بل يرجح باب الولاية على باب حطة ، لأن الأول باب معنوي، والثاني باب مادي.

(3) **بيان بعض المصاديق:** يراد به بيان بعض المصاديق ولو لم يكن فيما بينها فضيلة ، مثل تفسير (الكوثر) في قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ، فإن الكوثر بمعناه العام هو الخير الكثير ، لكنه حمل على أحد مصاديقه كالقرآن ، أو النبوة، أو نهر في الجنة . وقد نقل السيوطي في الدر المنثور عن عدة من الصحابة المفسرين والتابعين: أن المراد بالكوثر هو القرآن، أو النبوة، أو نهر في الجنة. ومما يؤيد أن هذا النوع من التفسير بيان للمصاديق لا التفسير بما هو تفسير ما رواه السيوطي أيضا عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : الكوثر الخير الذي إعطاء الله إياه، فقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.

(4) **بيان المصداق الأعلى:** يراد به بيان بعض المصاديق الذي هو المثل الأعلى والأسوة للآخرين، مثل تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾ بعلي بن أبي طالب ع ، كما ورد عن الصادق ع أنه قال: «علي أفضلهم، وهو ممن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله» .

(5) بطن الآيات: المراد بالبطن : معنى ثانوي للآية فيما لم تكن بحسب ذاتها ظاهرة فيه، وإنما يتوصل إليه بدليل آخر، ويعبر عنه بالبطن، مثل ما روي في قوله تعالى : ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ أن المراد من النبأ العظيم هو علي ع ، فإنه من البطن. وكقوله تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾، فقد وردت روايات كثيرة في أن المراد من النجم في الظاهر هو الجدي عليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البر والبحر. والمراد من النجم في الباطن رسول الله ص ، ومن العلامات الأئمة ع ، فيرى المفسر أن للنجم الهادي للإنسان في مسيره مصداقين: فالجدي مصداق له ويهتدي به الإنسان في البر والبحر، والنبي الأعظم الذي يهدي الناس إلى صراط الله المستقيم مصداقه الآخر، وكذا العلامات .